الخطبة الثلاثون

الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، أما بعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 3/ 19]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: 45/ 17].

والتعليق الذي أريده هنا: أن الله سبحانه قرر أن الدين المقبول عند الله تعالى هو الإسلام، الإسلام له وحيين، الوحي القرآني والوحي النبوي، وكلا الوحيين من عند الله سبحانه لذلك قلت وحيين، والوحي من عند الله تعالى وأكد ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 53/ 3 – 4].

هذا هو الإسلام المقبول، وهذين الوحيين قد تكفل الله بحفظهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 15/ 9]. قوله تعالى: ﴿الذِّكْرَ﴾ يشمل القرآن والسنة.

أعود الآن للآية: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ تبين هذه الآية أن الاختلاف سببه البغي، وإذا راجعنا القرآن الكريم نجد عجيبة من العجائب: أن كلمة بغيٍ جاءت ست مرات في القرآن الكريم (90) - (213) البقرة، (19) آل عمران، (90) يونس، (14) الشورى، (17) الجاثية.

وكل هذه الآيات جاءت في أهل الكتاب، إلا (90) يونس فجاءت في فرعون وقومه، فإذا كان ضلال أهل الكتاب سببه البغي، فما معنى هذه الكلمة؟ (بغى) معناها: اعتدى، ظلم، خرج عن القانون، تجاوز الحد، كَذَب. وكلنا يعلم -بدون إطالة- أن أهل الكتاب بغوا في تعاليمهم وفي كتبهم، فكذبوا على الله تعالى، وكذبوا على رسلهم وحرفوا التوراة والإنجيل، وقالوا على الله ما لم يقل، وقالوا على الأنبياء ما لم يقولوا، وأدخلوا في دينهم ما ليس فيه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 78].

فهل اتضحت كلمة البغي الآن؟ وهل عرفت لماذا كفروا؟ لأنهم كذبوا وافتروا على الله ورسوله ما لم يقله، هذا هو البغي.

الآن ماذا أريد من هذه المقدمة؟ الذي أريده: أنه لا يجوز بحال من الأحوال القول على الله تعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام بغير علم، وبغير تثبت، وبغير فهم.

لذلك والمعجزة القرآنية الثانية: أن كلمة (افترى) جاءت (14) مرة في القرآن الكريم، كلها بمعنى الافتراء على الله ورسوله، أي الكذب وقول الباطل في الله وفي شرعه وفي تعاليمه، وأَسْتَدِلُ بآية واحدة فقط للاختصار وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: 11/ 18-19].

وعندما يسأل القرآن سؤالاً ولا تجد له إجابة فجوابه: النفي. أي: عندما يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا يوجد جواب على هذا السؤال، فجوابه: أنه لا يوجد أظلم من هذا المفتري، أي أنّ المفتري قد بلغ الذروة العظمى في الظلم والاعتداء، ولذلك جاءت تسع من الآيات الأربع عشرة في الافتراء كلها تبدأ: فمن أظلم، ومن أظلم... وذلك لتبيين فداحة الجرم، ولذلك انتهت الآيات بقوله:

1- (94) آل عمران: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، 2- (21) الأنعام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، 3- (144) الأنعام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، 4- (37) الأعراف: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾، 5- (17) يونس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، 6- (18) هود: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، 7- (68) العنكبوت ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، 8- (7) الصف: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ومن هذا نستنتج: أن الأحاديث الموضوعة والضعيفة هي كذب على الله تعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذه الأحاديث لها من السوء ما الله به عليم ونتائجها وخيمة جداً، وقد لا يظن بعض الناس ذلك، ولذلك اسمحوا لي بذكر هذه القصة:

منذ حوالي خمسين سنة -أي في منتصف الستينات من القرن العشرين- كان من علماء الشام رحمهم الله من يدعوالناس إلى نبذ الأحاديث الموضوعة والضعيفة ويدعو الناس إلى تحري الصحيح منها ويشنع على العلماء والدعاة استشهادهم بالأحاديث الضعيفة، وبالغ الناس في عداوته وتكلموا فيه رحمه الله تعالى وطعنوا فيه، وأخيراً اجتمع بعض طلبة العلم من تلاميذ المشايخ الكبار الذين كانوا في دمشق، وقالوا: لنذهب إلى الشيخ ونكلمه ليخفف هذه الحدّة في نقده على المشايخ والعلماء والكتب التي فيها ما هبّ ودبّ من الكذب على الله ورسوله، فلما أتوه وكلموه كان ثمرة هذا اللقاء رسالة صغيرة ألفها الشيخ رحمه الله وسماها (الأحاديث الضعيفة

والموضوعة وأثرها السيء على الأمة) وجعل بعضاً مما جاء في مقدمة سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأريد أن أنقل ملخصاً عنها حتى تعلم المساوئ والأضرار الناشئة عند ذكرها وروايتها وتداولها:

1- قال ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» صحيح متواتر، 2- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» ابن حبان صحيح، 3- قال ﷺ: «إياكم وكثرة الحديث عني، من قال عليّ فلا يقولن إلا حقاً أو صدقاً، فمن قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» ابن أبي شيبة - السلسلة الصحيحة (1753)، 4- هناك مقولة بأن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال، إن مذهب البخاري ومسلم وابن حزم وبعض أهل العلم: أنه لا يُعمل بالحديث الضعيف مطلقاً.

والبعض الذي قال: بالعمل بالحديث الضعيف وضعوا له شروطاً منها: 1- أن لا يكون الحديث ضعيفاً جداً، 2- وأن لا يكون في سنده كذاب ووضاع ومن يُتهم بذلك، 3- أن يندرج الحديث تحت أصل صحيح معمول به، 4- أن لا يعتقد عند العمل به بثبوته ولكن للاحتياط، 5- أن يرويه الراوي بصيغة التمريض كقوله: وقد رُوي أن رسول الله قال...، أو أن يقول: ورد عنه ولكن في غير حديث صحيح أنه قال...، 6- أن لا يكون الحديث في العقائد، فإنه لا يصح فيها إلا الصحيح، 7- وكذلك في الغيبيات، لأن الغيب بيد الله ولا بد من حديث صحيح. 5- كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وكثرة انتشارها تطغى على انتشار الأحاديث الصحيحة، وهذا غلط وله آثار سيئة، 6- بعض الأحاديث فيها شرك وكفر مثال ذلك: «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه» والعياذ بالله من هذا الشرك، 7- الأحاديث الضعيفة تخالف السنة مثالها: «لا سلام على طعام» كذب، 8- تشكيك الناس بأعمالها الصالحة مثالها: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له» كذب، 9- الأحاديث الضعيفة تشرع

أفعالاً وعبادات لم يأمر بها الله ورسوله مثال ذلك: «من زار قبر والديه كل جمعة فقرأ عندهما يس غفر له بعدد كل آية وحرف» كذب، وباطل.

10- الأحاديث الضعيفة تنشر عادات وسلوكيات بين الناس لم يأمر بها الله تعالى ولا رسوله ﷺ مثال ذلك: «إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل عليّ وليقل ذَكَرَ اللهُ من ذكرنا بخير» كذب، ضعيف الجامع (586)، وهذا استخفاف برسول الله وبذكر الله تعالى، وتعليق وصَلَه تافه بين طن الأذن والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

11- الأحاديث الضعيفة تكلف الإنسان وتلزمه بما لا يلزم جهداً ومالاً، ومثال ذلك: «من حج البيت ومن لم يزرني فقد جفاني» كذب، سافر من مكة إلى المدينة وعطّل أعمالك واصرف أموالك وقد تكون محتاجًا وقد تكون في شغل وعمل، وعملت عمرة، فيأتي إنسان ويقول لك: إذا لم تذهب إلى زيارة الرسول ﷺ في المدينة تكون قد جفيت رسول الله ﷺ والعياذ بالله.

12- الأحاديث الضعيفة تعطي مفاهيم خاطئة مخالفة لأصول الشرع، مثال ذلك: «اختلاف أمتي رحمة» كذب موضوع على رسول الله ﷺ، ضعيف الجامع (230)، قال ابن حزم: وهذا (أي الحديث) من أفسد الأقوال، وهذا دعوة إلى الاختلاف، فيكون الاتفاق سخطًا! لأن الاختلاف رحمة فعكسه سخط والعياذ بالله! والآن يستشهدون به في قبول الآخر، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 153].

13- تحريم أو تكريه ما أحله الله تعالى ورسوله، مثال ذلك: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن» كذب على الله ورسوله، الفوائد المجموعة، ومخالف لشريعة الله ورسوله، ووصف للغيبيات كاهتزاز عرش الرحمن والعياذ بالله.

14- تشويه لسمعة الصحابة الكرام مثال ذلك: قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري، والقصة أوردها المفسرون تحت آية التوبة، أنه جاء رسول الله وطلب منه أن يرزقه، وكَثُرَ رزقه، ورفض الزكاة وقال: هي أخت الجزية، القصة مكذوبة ولا تصح، وشهد رسول الله لثعلبة بالإيمان، والآية نزلت في المنافقين، وثعلبة ليس من المنافقين بشهادة الله ورسوله ﷺ.

15- الأحاديث الضعيفة والموضوعة تسيء إلى سمعة الإسلام، وقد تستغرب مني هذا القول ولا بد من الأمثلة ومنها: قصة الذي أخرج ريحًا بحضرة رسول الله ﷺ، ولما حان وقت الصلاة قال ﷺ: «من أكل لحم جزور فليتوضأ» الحديث صحيح، ولكن القصة كذب وزور، ويستشهد بها كثير من الناس على أن رأفة الرسول بأصحابه والحفاظ على كرامتهم وسمعتهم، وهذا باطل لأن وقت الصلاة يقوم الناس للوضوء ولا حاجة لرسول الله أن يذكر شيئًا، وينتهي الأمر، أما أنهم علقوا الحكم بالقصة فهذا مذموم وذلك لأن رسول الله ﷺ يأمر الأمة إلى يوم القيامة أن تتوضأ لأن أحدهم أخرج ريحًا، رسول الله ﷺ يأمر ببلايين الغالونات من الماء تهدر إلى يوم القيامة لأن أحدهم أخرج ريحًا، ما هذه الأحكام البالية؟! وما هذا التشريع السخيف؟! لأن أحدهم فعل ما فعل ملايين ملايين البشر تتوضأ، بالله عليك لو ترجمت هذه القصة ووضعت أمام مشرعي العالم ومثقفيهم ماذا سيقولون عن ديننا وتشريعنا؟!

أقول الحديث صحيح ولكن سبب الوضوء وقصته كذب، والربط بينهما كذب، والحكم: أن من أكل لحم الإبل توضأ، نعم لحكمة أرادها ربنا وليس لأن أحدهم فعل ما فعل، ثم أيحق لرسول الله أن يأمر بحكم لم يشرعه الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يأمره أن يقول: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 10/ 15]، معاذ الله من هذا البهتان.

16- والأحاديث الضعيفة والموضوعة تسيء إلى سمعة الإسلام والمسلمين، وتنفر من الإسلام والمسلمين، والآن عندنا مشكلة وهي أن بناتنا المسلمات لا يرغبن في التزوج من الشباب المسلمين، ذلك لأنها شاهدت أباها أو أخاها كيف يعامل زوجته بحجة بعض الأحاديث وإليك أمثلة: «حق الزوج على زوجته أن لو انتثر منخراه صديداً أو دماً ثم ابتلعته ما أدت حقه» رواه البزار - ن - حب - ك - البيهقي في السنن الكبرى، وهذا الحديث له قصة: أن رجلاً أتى بابنته لرسول الله ﷺ وقالت: أخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فقال لها ذلك، «فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً» فقال ﷺ: «لاتنكحوهن إلا بإذنهن»، هذا الحديث في سنده: ربيعة بن عثمان، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال الشيخ عبد الله الجديع في كتابه تحرير علوم الحديث: «إن نكارة الحديث يجده الناقد بأن ينفر منه، وينزه عن مثلها الوحي وألفاظ النبوة» أهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؟ [البقرة: 2/ 228]، وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 4/ 19]، وهل هذا مصداق قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» متفق عليه، وقوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» ت - جه، وقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» صحيح - حم، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما الطاعة في المعروف» البخاري ومسلم. كل هذه الآيات والأحاديث، هل توافق هذا الحديث الذي يتكلم عن لعق الصديد والدم؟! أبداً لا توافق، ومن قال بتحسين الحديث قال: إن هذا فقط لتبيان حق الزوج على زوجته ومكانته منها فقط، ولكن هناك سؤال شرعي: هل يجوز للمرأة أن تلعق الدم والصديد والله سبحانه يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 7/ 157]؟ وهل هذا من الطيبات أو من الخبائث؟ يا ذوي العقول الفاضلة، إن بعضاً من بناتنا ينفرون الآن من الإسلام والمسلمين ويصاحبون الأميركان، وذلك نتيجة تعاليمكم الجميلة والتي

تدعمونها بهذه الأحاديث والأفكار، فاتقوا الله في نسائكم، واتقوا الله في بناتكم وفي أخواتكم، وأصلحوا حالكم قبل فوات الأوان، وعن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «يكون في مهنة أهله -يعني: في خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» حم - حب، فاتقوا الله يا أولي الألباب، وانبذوا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فإن الله تعالى حفظ دينه وليس لنا حاجة في الضعيف، وكما قالوا: في الصحيح الخير والكفاية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم